الرحـلة السادسة

الرِّحْلَةُ السَّادِسَةُ مِنْ رِحْلَاتِ: يَا عَبْدَ اللهِ، ارْكَبْ مَعَنَا سَفِينَةُ الْآخِرَةِ إِلَى الدِّيَارِ الْآخِرَةِ

السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ.

حَيَّاكُمُ اللهُ وَبَيَّاكُمْ، وَسَدَّدَ خُطَاكُمْ، وَأَحْسَنَ مَسَاكُمْ، وَمِنْ كُلِّ خَيْرٍ أَعْطَاكُمْ، وَمِنْ كُلِّ شَرٍّ وَقَاكُمْ، وَفِي ظِلَالِ الْجَنَّةِ أَرْسَاكُمْ، وَمِنْ حَرِّ النَّارِ أَجَارَكُمْ، وَلِكُلِّ عَمَلٍ صَالِحٍ وَفَّقَكُمْ وَهَدَاكُمْ.

مَعْشَرَ الْمُسَافِرِينَ الْكِرَامِ، دَقَائِقُ مَعْدُودَةٌ وَتَنْطَلِقُ سَفِينَتُنَا الْمَاخِرَةُ إِلَى دِيَارِ الْآخِرَةِ فِي رِحْلَتِهَا السَّادِسَةِ. رُبَّانُ السَّفِينَةِ يَتَمَنَّى لَكُمْ أَوْقَاتًا نَافِعَةً بِإِذْنِ اللهِ تَعَالَى؛ يُحَصَّلُ فِيهَا الْعِلْمُ، وَيُرْفَعُ فِيهَا الْجَهْلُ، وَيُطَاعُ فِيهَا الرَّبُّ، وَيُعْصَى فِيهَا الشَّيْطَانُ وَأَعْوَانُهُ.

وَالْآنَ تَأْتِي الْإِشَارَةُ مِنْ غُرْفَةِ الْمُرَاقَبَةِ مُؤْذِنَةً بِبَدْءِ انْطِلَاقِ الرِّحْلَةِ السَّادِسَةِ عَبْرَ السَّفِينَةِ الْمَاخِرَةِ إِلَى الدِّيَارِ الْآخِرَةِ، ﴿ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا﴾ [هود: 41]، قَائِلِينَ: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ * وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ﴾ [الزخرف: 13-14].

يَا عَبْدَ اللهِ، ارْكَبْ مَعَنَا السَّفِينَةَ الْمُاخِرَةَ إِلَى الدِّيَارِ الْآخِرَةِ

خُذُوا أَمَاكِنَكُمْ كَمَا عَوَّدْنَاكُمْ، وَشُدُّوا عَلَيْكُمْ أَحْزِمَةَ الْجِدِّ وَالِاجْتِهَادِ، وَالْعَزْمِ وَالْحَزْمِ، وَاسْتَحْضِرُوا فِي قُلُوبِكُمْ نِيَّةَ التَّعَبُّدِ لِرَبِّكُمْ بِفِعْلِ هَذِهِ الطَّاعَةِ، أَعْنِي تَلَقِّيَ الْعِلْمِ النَّافِعِ الْمُوَصِّلِ لِلْعَمَلِ الصَّالِحِ، وَذَلِكَ مِنْ خِلَالِ هَذِهِ الرِّحْلَةِ الطَّيِّبَةِ الْمُرِيحَةِ إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى.

وَكَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ» (مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ)، وَعَلَى قَدْرِ صَلَاحِ الْمَرْءِ فِي نِيَّتِهِ يَأْتِيهِ أَجْرُهُ.

تَوَكَّلُوا عَلَى رَبِّكُمْ وَأَحْسِنُوا الظَّنَّ بِهِ؛ يَكُنْ مَعَكُمْ بِتَوْفِيقِهِ لَكُمْ. سَلُوهُ أَنْ يَنْفَعَكُمْ بِمَا يُلْقَى عَلَيْكُمْ، وَأَنْ يُعِينَكُمْ عَلَى الْعَمَلِ بِمَا عَلِمْتُمْ وَفَهِمْتُمْ.

لَا تَنْسَوْا تَفَقُّدَ أَمْتِعَتِكُمْ وَزَادِكُمْ، وَاعْلَمُوا أَنَّ خَيْرَ زَادٍ يَصْحَبُهُ الْعَبْدُ مَعَهُ فِي سَفَرِهِ – وَهُوَ يُتَابِعُ سَيْرَهُ إِلَى اللهِ جَلَّ وَعَلَا وَالدَّارِ الْآخِرَةِ – التَّقْوَى. هِيَ السِّلَاحُ الْأَقْوَى، وَهِيَ الْمِعْيَارُ لِمَعْرِفَةِ أَكْرَمِ النَّاسِ عِنْدَ اللهِ جَلَّ وَعَلَا، حَيْثُ قَالَ: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [الحجرات: 13]. وَهِيَ أَجْمَلُ وَأَحْسَنُ لِبَاسٍ وَزِينَةٍ يَتَزَيَّنُ بِهَا الْعَبْدُ، قَالَ رَبِّي جَلَّ وَعَلَا: ﴿يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ﴾ [الأعراف: 26].

لَمَّا وَدَّعَ الْإِمَامَ عَبْدَ اللهِ بْنَ عَوْنٍ الْمُزَنِيَّ مَوْلَاهُمُ الْبَصْرِيَّ الْحَافِظَ (الْمُتَوَفَّى سَنَةَ 151 هـ) رَجُلاً، قَالَ لَهُ مُوصِيًا: "عَلَيْكُمْ بِتَقْوَى اللهِ، فَإِنَّ التَّقِيَّ لَيْسَ عَلَيْهِ وَحْشَةٌ" (ذَكَرَهُ ابْنُ الْقَيِّمِ فِي كِتَابِهِ "الْفَوَائِدُ").

يَا عَبْدَ اللهِ، ارْكَبْ مَعَنَا السَّفِينَةَ الْمُاخِرَةَ إِلَى الدِّيَارِ الْآخِرَةِ

يَا مَعْشَرَ الرُّكَّابِ، نَصِيحَتِي الْمُتَكَرِّرَةُ فِي كُلِّ رِحْلَةٍ: احْذَرُوا سُرَّاقَ الْأَوْقَاتِ، وَلُصُوصَ الزَّمَنِ، وَقُطَّاعَ الطُّرُقِ ، احْذَرُوا أُولَئِكَ الَّذِينَ يَكِيدُونَ وَيَجْتَهِدُونَ فِي تَضْيِيعِ أَوْقَاتِكُمْ بِإِلْهَائِكُمْ عَمَّا يَنْفَعُكُمْ فِي دِينِكُمْ وَدُنْيَاكُمْ وَأُخْرَاكُمْ، فَيُوَجِّهُونَكُمْ إِلَى كَثْرَةِ الْمِرَاءِ وَالْجِدَالِ وَالنِّقَاشِ الْعَقِيمِ، وَيَجُرُّونَكُمْ إِلَى كَشْفِ السَّوْءَاتِ وَتَتَبُّعِ الْعَوْرَاتِ، وَإِذَاعَةِ الِافْتِرَاءَاتِ وَاخْتِلَاقِ الْإِشَاعَاتِ؛ الَّتِي تَكُونُ سَبَبًا فِي ضَيَاعِ الْحَسَنَاتِ وَكَسْبِ السَّيِّئَاتِ، وَذَلِكَ بِالطَّعْنِ فِي الْعُلَمَاءِ الْأَثْبَاتِ وَجَمَاهِيرِ طَلَبَةِ الْعِلْمِ الثِّقَاتِ وَغَيْرِهِمْ مِنْ آحَادِ الْمُسْلِمِينَ الْأَبْرِيَاءِ. وَلَا يَكُونُ ذَلِكَ إِلَّا بِسَبَبِ مَرَضٍ فِي الْقَلْبِ، أَوْ حَسَدٍ فِي النَّفْسِ، أَوِ اتِّبَاعٍ لِلْهَوَى، أَوْ تَعَالُمٍ فِي الدِّينِ، أَوْ جَهْلٍ مُطْبِقٍ.

الموقع الرسمي للشيخ
أبو قتيبة عمر بن محمد الظلام شاد
SUBSCRIBE
LIKE
SHARE

مَعْشَرَ إِخْوَتِي الرُّكَّابِ الْأَفَاضِلِ، امْضُوا لِسَيْرِكُمْ وَلَا تَلْتَفِتُوا إِلَى هَؤُلَاءِ الْمُبْطِلِينَ الْمُخَذِّلِينَ الْفَتَّانِينَ، وَاعْلَمُوا أَنَّهُ لَنْ يَضُرَّ السَّحَابَ نُبَاحُ الْكِلَابِ.

اجْعَلُوا -رَحِمَنِي اللهُ وَإِيَّاكُمْ- نُصْبَ أَعْيُنِكُمْ أَمْرًا وَاحِدًا وَوَحِيدًا فَقَطْ: هُوَ إِرْضَاءُ رَبِّكُمْ جَلَّ وَعَلَا. هُمْ عَصَوُا اللهَ فِيكُمْ؛ فَأَطِيعُوا أَنْتُمُ اللهَ فِيهِمْ، فِعْلًا لِلْمَأْمُورِ، وَتَرْكًا لِلْمَحْظُورِ، وَصَبْرًا عَلَى الْمَقْدُورِ، وَوُقُوفًا عِنْدَ حُدُودِ شَرْعِ اللهِ جَلَا وَعَلَا، وَابْتِعَادًا عَنْ حِمَى مَعَاصِيهِ.

مَعْشَرَ الْأَحِبَّةِ، أَسْأَلُ اللهَ بِأَسْمَائِهِ الْحُسْنَى وَصِفَاتِهِ الْمُثْلَى أَنْ يَجْعَلَ رِحْلَتَنَا هَذِهِ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً، مُرِيحَةً مُفِيدَةً، نَتَزَوَّدُ خِلَالَهَا مِنْ خَيْرِ زَادٍ نَحْمِلُهُ مَعَنَا لِنَلْقَى بِهِ رَبَّنَا، فَيَكُونَ حُجَّةً لَنَا ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ * إِلَّا مَنْ أَتَى اللهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾

[الشعراء: 88-89]. كَمَا أَسْأَلُهُ تَعَالَى أَنْ يَحْفَظَ عَلَيْنَا عُقُولَنَا وَقُلُوبَنَا وَأَجْسَادَنَا مِنْ كُلِّ شَرٍّ، صَغُرَ أَوْ كَبُرَ، قَرُبَ أَوْ بَعُدَ، خَفِيَ أَوْ ظَهَرَ. وَأَنْ يُعِينَنَا عَلَى أَنْفُسِنَا الْأَمَّارَةِ بِالسُّوءِ، وَعَلَى شَيَاطِينِ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَأَعْوَانِهِمْ، وَأَنْ يَرْزُقَنَا الصَّبْرَ عَلَى الْمَصَائِبِ وَالْأَحْزَانِ وَالْأَسْقَامِ، وَيُرْضِيَنَا وَيُؤْنِسَ غُرْبَتَنَا. نَدْعُوهُ وَكُلُّنَا يَقِينٌ أَنَّهُ لَنْ يَأْتِيَ الْفَرَجُ إِلَّا مِنْهُ جَلَّ وَعَلَا، وَلَنْ يَحْصُلَ الشِّفَاءُ إِلَّا مِنْ قِبَلِهِ، وَلَنْ تَنْزِلَ الرَّحْمَةُ إِلَّا مِنْهُ؛ فَنَحْنُ الضُّعَفَاءُ وَهُوَ الْقَوِيُّ، وَنَحْنُ الْفُقَرَاءُ وَهُوَ الْغَنِيُّ، وَنَحْنُ الْأَذِلَّاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ، قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ [فاطر: 15].

الموقع الرسمي للشيخ: أبي قتيبة عمر بن محمد الطاهر شابي

وَقَدْ أَحْسَنَ مَنْ قَالَ:

إِلَهِي لَا تُعَذِّبْنِي فَإِنِّي ***مُقِرٌّ بِالَّذِي قَدْ كَانَ مِنِّي

وَكَمْ مِنْ زَلَّةٍ لِي فِي الْبَرَايَا* وَأَنْتَ عَلَيَّ ذُو فَضْلٍ وَمَنِّ**

وَمَا لِي حِيلَةٌ إِلَّا رَجَائِي* لِعَفْوِكَ إِنْ عَفَوْتَ وَحُسْنُ ظَنِّي**

يَظُنُّ النَّاسُ بِي خَيْرًا وَإِنِّي* لَشَرُّ النَّاسِ إِنْ لَمْ تَعْفُ عَنِّي**

مَعْشَرَ الرُّكَّابِ الْأَحِبَّةِ، مَا زَالَ انْطِلَاقُنَا مِنْ مِينَاءِ هَذِهِ الرِّحْلَةِ لِإِكْمَالِ مَا بَقِيَ مِنْ حَدِيثٍ حَوْلَ "**الْمَوْتِ**"، وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْمَوْتُ! لَقَدْ تَقَرَّرَ عِنْدَنَا فِي الرِّحْلَةِ الْفَائِتَةِ أَنَّ الْمَوْتَ حَقٌّ لَا مِرْيَةَ فِيهِ، وَأَنَّهُ وَاقِعٌ لَا دَافِعَ لَهُ، وَأَنَّهُ نَازِلٌ بِكُلِّ حَيٍّ، قَالَ رَبِّي جَلَّ وَعَلَا: ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ﴾ [النساء: 78].

يَا عَبْدَ اللهِ، ارْكَبْ مَعَنَا السَّفِينَةَ الْمُاخِرَةَ إِلَى الدِّيَارِ الْآخِرَةِ

فَمَهْمَا طَالَ الْعُمْرُ وَامْتَدَّ، وَتَوَالَتْ عَلَى الْإِنْسَانِ السَّنَوَاتُ وَالْأَيَّامُ؛ فَإِنَّهُ لَا بُدَّ لَهُ مِنْ أَنْ يَمُوتَ وَلَوْ بَعْدَ حِينٍ، وَلَا بُدَّ أَنْ يَخْرُجَ مِنْ هَذِهِ الدُّنْيَا الْفَانِيَةِ الزَّائِلَةِ الْعَابِرَةِ؛ الَّتِي عُمْرُهَا قَصِيرٌ، وَأَمْرُهَا حَقِيرٌ، وَكَثِيرُهَا قَلِيلٌ، وَعَزِيزُهَا ذَلِيلٌ، وَغَنِيُّهَا فَقِيرٌ، وَصَحِيحُهَا عَلِيلٌ. دُنْيَا إِذَا حَلَتْ أَرْحَلَتْ، وَإِذَا كَسَتْ أَوْكَسَتْ، وَإِذَا أَجَلَّتْ أَوْجَلَتْ، وَإِذَا أَيْنَعَتْ نَعَتْ، وَإِذَا أَسَرَّتْ أَيَّامًا أَضَرَّتْ أَعْوَامًا. وَكَمْ مِنْ مَلِكٍ رُفِعَتْ لَهُ عَلَامَاتٌ، فَلَمَّا عَلَا مَاتَ! وَكَمْ مِنْ دِيَارٍ تُبْنَى وَمَا تُبْنَى.

دَارٌ حَلَالُهَا يَزُولُ، وَمَتَاعُهَا يَحُولُ. وَصَدَقَ الْقَائِلُ حِينَ يَقُولُ:

جَمَعُوا فَمَا أَكَلُوا الَّذِي جَمَعُوا ***وَبَنَوْا مَسَاكِنَهُمْ فَمَا سَكَنُوا

فَكَأَنَّهُمْ كَانُوا بِهَا ظَعَنًا ***لَمَّا اسْتَرَاحُوا سَاعَةً ظَعَنُوا

حَقِيقَةُ الدُّنْيَا لَا تَعْدُو أَنْ تَكُونَ مَتَاعًا يَقْضِي الْإِنْسَانُ مِنْهُ وَطَرَهُ ثُمَّ يَتْرُكُهُ، قَالَ جَلَّ مَنْ قَالَ عَلَى لِسَانِ مُؤْمِنِ آلِ فِرْعَوْنَ: ﴿يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ﴾ [غافر: 39].

وَاسْمَعْ إِلَى الْقَائِلِ حِينَ يَقُولُ:

إِنَّمَا الدُّنْيَا فَنَاءٌ ***لَيْسَ لِلدُّنْيَا ثُبُوتُ

إِنَّمَا الدُّنْيَا كَبَيْتٍ ***نَسَجَتْهُ الْعَنْكَبُوتُ

إِنَّمَا يَكْفِيكَ مِنْهَا * أَيُّهَا الرَّاغِبُ قُوتُ**

وَكَانَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ -رَحِمَهُ اللهُ- يَقُولُ مُتَمَثِّلًا بِهَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ :

أَنَا مَيِّتٌ وَعَزَّ مَنْ لَا يَمُوتُ* حَتَّى تَيَقَّنْتُ أَنِّي سَأَمُوتُ**

لَيْسَ مُلْكٌ يُزِيلُ الْمَوْتَ مُلْكَهُ إِنَّمَا الْمُلْكُ مُلْكُ مَنْ لَا يَمُوتُ**

وَقَدْ قَالَ ذَلِكَ وَهُوَ يَدْرِي أَنَّهُ ذَاهِبٌ إِلَى أَجَلِهِ. وَقَدْ ذُكِرَتْ قِصَّةٌ يُورِدُهَا بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ فِي مِثْلِ هَذِهِ الْمَوَاطِنِ؛ لِلدَّلَالَةِ عَلَى أَنَّ الَّذِي يَفِرُّ مِنَ الْمَوْتِ يَذْهَبُ إِلَيْهِ، وَهِيَ قِصَّةُ سُلَيْمَانَ -عَلَيْهِ السَّلَامُ- مَعَ ذَلِكَ الرَّجُلِ، وَقَدْ ذَكَرَ هَذِهِ الْقِصَّةَ ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ فِي "مُصَنَّفِهِ"، وَالثَّعَالِبِيُّ فِي "تَفْسِيرِهِ"، وَأَحْمَدُ فِي "الزُّهْدِ"، وَابْنُ بَطَّةَ فِي "الْإِبَانَةِ"، وَأَبُو نُعَيْمٍ فِي "الْحِلْيَةِ." وَمَضْمُونُهَا:

(كَانَ مَلَكُ الْمَوْتِ يَأْتِي سُلَيْمَانَ -عَلَيْهِ السَّلَامُ- فَيُسَلِّمُ عَلَيْهِ. فَأَتَاهُ ذَاتَ يَوْمٍ، وَكَانَ عِنْدَ سُلَيْمَانَ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِهِ. فَلَمَّا دَخَلَ مَلَكُ الْمَوْتِ، جَعَلَ يُدِيمُ النَّظَرَ إِلَى ذَلِكَ الرَّجُلِ وَيَحُدُّ النَّظَرَ إِلَيْهِ. فَلَمَّا خَرَجَ مَلَكُ الْمَوْتِ، قَالَ الرَّجُلُ لِسُلَيْمَانَ: "يَا نَبِيَّ اللهِ، مَنْ هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي دَخَلَ عَلَيْكَ؟ "قَالَ سُلَيْمَانُ: "هَذَا مَلَكُ الْمَوْتِ ."فَارْتَعَدَ الرَّجُلُ وَقَالَ: "يَا نَبِيَّ اللهِ، لَقَدْ رَأَيْتُهُ يَنْظُرُ إِلَيَّ نَظَرًا شَدِيدًا، وَكَأَنَّهُ يُرِيدُنِي! فَأَسْأَلُكَ بِاللهِ أَنْ تَأْمُرَ الرِّيحَ فَتَحْمِلَنِي إِلَى أَقْصَى الْهِنْدِ، لَعَلِّي أَنْجُو مِنْهُ."

فَأَمَرَ سُلَيْمَانُ الرِّيحَ، فَحَمَلَتِ الرَّجُلَ حَتَّى أَلْقَتْهُ فِي بِلَادِ الْهِنْدِ.

ثُمَّ جَاءَ مَلَكُ الْمَوْتِ إِلَى سُلَيْمَانَ مَرَّةً أُخْرَى، فَقَالَ لَهُ سُلَيْمَانُ: "لَقَدْ أَفْزَعْتَ جَلِيسِي، فَمَا بَالُكَ كُنْتَ تُدِيمُ النَّظَرَ إِلَيْهِ؟ "فَقَالَ مَلَكُ الْمَوْتِ: "لَمْ أَنْظُرْ إِلَيْهِ لِأَقْبِضَ

رُوحَهُ عِنْدَكَ، وَلَكِنَّنِي تَعَجَّبْتُ مِنْهُ؛ لِأَنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَقْبِضَ رُوحَهُ بِأَرْضِ الْهِنْدِ بَعْدَ سَاعَةٍ، فَوَجَدْتُهُ عِنْدَكَ فِي مَجْلِسِكَ! فَذَهَبْتُ إِلَى الْمَكَانِ الَّذِي أُمِرْتُ بِهِ فِي الْهِنْدِ، فَوَجَدْتُهُ هُنَاكَ يَنْتَظِرُنِي، فَقَبَضْتُ رُوحَهُ."

وَهَكَذَا، سَاقَ اللهُ الرَّجُلَ إِلَى مَصْرَعِهِ الَّذِي كُتِبَ لَهُ، تَصْدِيقًا لِقَوْلِهِ تَعَالَى:

﴿...وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ...﴾ [لقمان: 34].)

وَخَيْرٌ مِمَّا ذُكِرَ، قَوْلُ اللهِ جَلَّ وَعَلَا: ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ﴾ [النساء: 78]، وَقَوْلُهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ﴾ [الجمعة: 8]، وَقَوْلُهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ﴾ [الواقعة: 60].

وَمَنْ كَانَ أَجَلُهُ فِي مَكَانٍ، فَإِنَّهُ يُقْبَضُ فِيهِ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ سَاقَهُ اللهُ إِلَيْهِ وَهُوَ لَا يَدْرِي أَيْنَ سَيَمُوتُ، قَالَ اللهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿...وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ...﴾ [لقمان: 34].

وَأَخْرَجَ الْإِمَامُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ: قَالَتْ أُمُّ حَبِيبَةَ زَوْجُ النَّبِيِّ ﷺ: "اللَّهُمَّ مَتِّعْنِي بِزَوْجِي رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَبِأَبِي أَبِي سُفْيَانَ، وَبِأَخِي مُعَاوِيَةَ"، فَقَالَ لَهَا النَّبِيُّ ﷺ: «لَقَدْ سَأَلْتِ اللهَ لِآجَالٍ مَضْرُوبَةٍ، وَأَيَّامٍ مَعْدُودَةٍ، وَأَرْزَاقٍ مَقْسُومَةٍ، لَنْ يُعَجِّلَ شَيْئًا قَبْلَ حِلِّهِ، أَوْ يُؤَخِّرَ شَيْئًا عَنْ

حِلِّهِ، وَلَوْ كُنْتِ سَأَلْتِ اللهَ أَنْ يُعِيذَكِ مِنْ عَذَابٍ فِي النَّارِ، أَوْ عَذَابٍ فِي الْقَبْرِ، كَانَ خَيْرًا وَأَفْضَلَ.»

مَعْشَرَ الرُّكَّابِ الْكِرَامِ، بِهَذَا الْحَدِيثِ نَتَابِعُ الْكَلَامَ حَوْلَ هَادِمِ اللَّذَّاتِ، لَكِنَّنِي أُخْبِرْتُ أَنَّ رِحْلَتَنَا قَدْ أَوْشَكَتْ عَلَى الِانْتِهَاءِ؛ لِنَعُودَ إِلَى أَهْلِينَا قَائِلِينَ: "آيِبُونَ، تَائِبُونَ، عَابِدُونَ، لِرَبِّنَا حَامِدُونَ"، كَذَا كَانَ يَقُولُ ﷺ إِذَا عَادَ مِنْ سَفَرِهِ. (مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ).

أَرْجُو أَنَّكُمْ قَدِ اسْتَفَدْتُمْ بِهَذِهِ الرِّحْلَةِ الْبَحْرِيَّةِ الطَّيِّبَةِ النَّافِعَةِ مِنْ خِلَالِ مَا أُلْقِيَ عَلَيْكُمْ مِنْ فَوَائِدَ جَمَّةٍ، تَكُونُ زَادًا لَكُمْ فِي آخِرَتِكُمْ. وَنَحْنُ نَقْتَرِبُ مِنْ مِينَاءِ عَوْدَتِنَا، لِنَرْسُوَ بِحَمْدِ اللهِ جَلَّ وَعَلَا وَتَوْفِيقِهِ وَتَيْسِيرِهِ لَنَا هَذِهِ الرِّحْلَةَ مِنْ سِلْسِلَةِ الرِّحْلَاتِ الْبَحْرِيَّةِ التَّذْكِيرِيَّةِ الْوَعْظِيَّةِ، وَنَسْأَلُهُ الْمَزِيدَ مِنْهَا.

وَأَسْأَلُ اللهَ جَلَّ وَعَلَا أَنْ يَجْعَلَ مَا قُلْنَاهُ وَشَرَحْنَاهُ ثَقِيلًا فِي مِيزَانِ حَسَنَاتِنَا، يُرَجِّحُهَا لَنَا يَوْمَ نَلْقَاهُ.

وَنَدْعُوهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَنْ نَحْيَا عَلَى التَّوْحِيدِ، وَنَمُوتَ عَلَيْهِ، وَنُبْعَثَ عَلَيْهِ. كَمَا أَسْأَلُهُ عَمَلًا صَالِحًا يَقْبِضُنَا اللهُ جَلَّ وَعَلَا عَلَيْهِ، وَأَسْأَلُهُ أَنْ يُعَجِّلَ بِالشِّفَاءِ لِمَرْضَانَا، وَأَنْ يَرْحَمَ مَوْتَانَا وَمَشَايِخَنَا وَعُلَمَائَنَا، وَأَنْ يَحْفَظَ الْأَحْيَاءَ مِنْهُمْ. وَنَسْأَلُهُ أَنْ يُسْعِدَنَا، وَأَنْ يُعِينَنَا، وَأَنْ يُبْعِدَ عَنَّا الْمُخَذِّلِينَ الْبَطَّالِينَ الْمُثَبِّطِينَ الْحَاسِدِينَ.

يَا عَبْدَ اللهِ، ارْكَبْ مَعَنَا السَّفِينَةَ الْمُاخِرَةَ إِلَى الدِّيَارِ الْآخِرَةِ

وَأُشْهِدُهُ تَعَالَى بِأَسْمَائِهِ الْحُسْنَى وَصِفَاتِهِ الْعُلَى أَنْ يَحْفَظَ لَنَا بَلَدَنَا الْجَزَائِرَ مِنْ كُلِّ شَرٍّ وَسُوءٍ وَكَيْدٍ وَمَكْرٍ. فَمَنْ أَرَادَ بِهَذَا الْبَلَدِ وَالْمُسْلِمِينَ شَرًّا، قَرِيبًا أَوْ بَعِيدًا، دَخِيلًا أَوْ خَارِجًا، أَسْأَلُ اللهَ جَلَّ وَعَلَا -الَّذِي أُوَحِّدُهُ وَلَا أُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا- أَنْ يَقْصِمَ ظَهْرَهُ، وَأَنْ يَقْطَعَ نُطْقَهُ، وَأَنْ يُسَلِّطَ عَلَيْهِ مَنْ لَا يَرْحَمُهُ، وَأَنْ يَجْعَلَ كَيْدَهُ فِي نَحْرِهِ وَتَدْبِيرَهُ فِي تَدْمِيرِهِ، وَيَشْغَلَهُ بِنَفْسِهِ، وَأَنْ يَجْعَلَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْوُصُولِ إِلَى الْإِضْرَارِ بِبِلَادِنَا سَدًّا مَنِيعًا، وَأَنْ يَجْعَلَ الشَّرَّ يَنْقَلِبُ عَلَيْهِ، هُوَ وَمَنْ أَعَانَهُ.

وَأَسْأَلُهُ لِهَذَا الْبَلَدِ الْأَمْنَ وَالْأَمَانَ، وَالْهُدَى وَالِاطْمِئْنَانَ.

الموقع الرسمي للشيخ:
أبي قُتَيْبَةَ عُمَرَ بْنِ مُحَمَّدٍ الطَّاهِرِ شَابِي
SUBSCRIBE
LIKE SHARE